Women's self-image in the folk tale

Prof. Dr.dhyaa ghani aluboody
College of Education for human sciences
E-mail: Dr.dhyaa.g.aluboody@utq.edu.iq

Reserchер: Furqan abd al-kadum
College of Education for human sciences
E-mail: furqankadum88@gmail.com

Abstract:

The folk tale is considered one of the most prominent folk prose arts that are transmitted orally from generation to generation. It is formulated in a suspenseful story template full of overflowing feelings that abound with various lessons and moral and educational values through which the wisdom of the people is manifested. It is a mirror that reflects social, intellectual and religious aspects.

The folk tale embodies facts The incident through time and space is of a serious nature, far from strangeness and ambiguity. Its sensitivity elements are defined by it in awareness of the paradox of real life and connection with it, re-diagnosing the situations in which it occurred for the sake of knowledge, revealing unknown facts and the strangeness of familiar sensory reality, while criticizing the negatives of society with the aim of reforming it, and carrying out an educational function. Instilling authentic values among popular groups.

Therefore, the research came to shed light on an important and prominent theme in the folk tale, which is the positive and negative self of women, relying on a set of sources in the folk tale. And renewal, it renews itself through its positive and negative self, so its personality is generally divided into two parts: positive and negative, according to the perspective of human experience and the way the collective mind perceives it.

she has; Hence, the woman, as a constituent part of that personality, is divided into a positive self and a negative one by virtue of the dramatic patterns that she produces and is a reason for classifying her according to one of the two types. Which means that the presumption (positive) or (negative) represents a judgment or result that is reached based on the actual system formed from: the function that represents the title of the action or the group of actions performed by the personality and its owner, which is the active self, because the woman is considered the basic cell To build the family in particular and the society in general, so we find that it once represented the positive self and its consequent virtues and issues, as it is in its entirety, and once it represented a negative self and the consequent negative motives, and once it represented the transformation in that self.

Kaywords: the self - positive self-image of women - negative self-image of women – transformation.

صورة المرأة الذات في الحكاية الشعبية

أ.د. ضياء غني العبودي **الباحثة فرقان عبد الكاظم العسكري**
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية
E-mail: furqankadum88@gmail.com E-mail: Dr.dhyaa.g.aluboody@utq.edu.iq

الملخص:

تعد الحكاية الشعبية من أبرز الفنون النثرية الشعبية التي تتناقل شفاهاً من جيل إلى جيل، مصوغة في قالب حكائي تشويقي مفعمة بالمشاعر الفياضة التي تزخر بمختلف العبر والقيم الأخلاقية والتربوية التي تتجلى من خلالها حكمة الشعب، فهي مرآة عاكسة لجوانب اجتماعية وفكرية ودينية، فالحكاية الشعبية تجسد الوقائع الحادثة عبر الزمان والمكان بطابع جدي بعيد عن الغرابة والغموض، فتتحدد عناصرها التحسسية بها في الوعي بمفارقة الحياة الواقعية والارتباط بها، وإعادة تشخيص المواقف التي حدثت فيها من أجل المعرفة وكشف الحقائق المجهولة وغرابة الواقع الحسي المألوف، مع نقد سلبيات المجتمع بهدف اصلاحه، والاضطلاع بوظيفة تعليمية ترسخ القيم الأصيلة بين الجماعات الشعبية.

لذا جاء البحث ليسلط الضوء على ثيمة مهمة وبارزة في الحكاية الشعبية وهي الذات الإيجابية و السلبية للمرأة، معتمدًا بذلك على مجموعة من المصادر في الحكاية الشعبية، فإنَّ صورة المرأة وما يترتب عليها من قيم اجتماعية وثقافية، فهي بمثابة انعكاس وتمثيل لموضوع ما في حقل قابل للعكس والتجديد، فإنَّها تتجدد من خلال ذاتها الإيجابية والسلبية، فتنقسم شخصيتها بصورة عامة إلى قسمين: إيجابية وسلبية، " وذلك وفقًا لمنظور التجربة الإنسانية وطريقة إدراك العقل الجمعي لها؛ ومن ثَمَّ فإنَّ المرأة بوصفها جزءًا مكونًا لتلك الشخصية تتوزع إلى ذات إيجابية، وأخرى سلبية بحكم الانساق الدرامية التي تقوم بإنتاجها وتكون سببًا في تصنيفها على وفق أحد النوعين؛ الأمر الذي يعني أنَّ القرينة (إيجابية) أو (سلبية) تمثل حكمًا أو نتيجة يتم الوصول إليها بناء على المنظومة الفعلية المشكلة من : الوظيفة التي تمثل عنوانًا للفعل أو مجموعة الأفعال التي تؤديها الشخصية ـ وصاحبها وهو عبارة عن الذات الفاعلة، فإنَّ المرأة تُعد الخلية الأساسية لبناء الأسرة بصورة خاصة والمجتمع بصوة عامة، فنجدها مرة مثلت الذات الايجابية وما يترتب عليها من فضائل وموضوعات، فهي في مجملها، ومرة مثلت ذاتًا سلبية وما يترتب من دوافع سلبية، ومرة مثلت التحول في تلك الذات.

الكلمات المفتاحية : الذات ـ صورة الذات الإيجابية للمرأة ـ الصورة الذات السلبية للمرأة ـ التحول.

المقدمة:

الذات:

إنَّ الذات هي كل ما تستطيع فعله الأنا الشخصية، ولديها القدرة على تحقيقها سواء لنفسها أو للآخر، فهي كينونة الفرد، أو الشخص، و تكوين معرفي منظم، ومتفهم للمدركات الشعورية والتصورات والتقسيمات الخاصة بذات الفرد، ويعتبره تعريفًا نفسيًا لذاته، أما وظيفته هي وظيفة دافعية، وتكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المثير الذي يوجد الفرد في وسطه، وتؤدي الذات دورها من خلال اللغة، فتقوم بإيصال ما تفكر فيه الذات من خلال الضمير أنا، والأفعال الخاصة بها للأخر، فهي تشكل المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه، بوصفه كائنًا بيولوجيًا اجتماعيًا؛ فهو مصدر للتأثير والتأثر بالنسبة للآخر "[١]، فالذات تتضح من خلال المواقف التي يمر بها الفرد أثناء محاولاته للتكيف مع البيئة المحاطة به، فالذات تحدد الأداء الفعلي للشخص فينمو جزئيًا من خبرات الفرد الشخصية ولكنه يتأثر بدرجة بالغة بالتقييمات التي يتلقاها الآخر المحيطة به [٢]، وبذلك فمفهوم الذات هو من المفاهيم والقيم الشعورية التي تتعلق بالسمات المميزة للفرد وعلاقاته المتعددة[٣]، وهي الجوانب التنظيمية في الشخصية، والتي تستقطب حولها مجمل النشاطات المختلفة الموجهة من أجل تحقيق كمال الإنسان، وهذه المبادئ تمد الشخصية بالوحدة والاستقرار اللذان يعتبران هدف الفرد في حياته[٤]، فهو يعد حجر الزاوية الأساس لبناء الشخصية فهي " تنمو وتنفصل تدريجيًا عن المجال الإدراكي وتتكون بنية الذات كنتيجة للتفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة والذات الاجتماعية، والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين، وتسعى للتوافق والثبات، وتنمو نتيجة للنضج والتعلم"[٥]، وتعد "الجزء المتمايز من المجال الظاهري وتتكون من نمط الإدراكات، والقيم الشعورية بالنسبة لـ " أنا"، حيث تحدد شخصية الفرد، فالطريقة التي يدرك بها ذاته هي التي تحدد نوع شخصيته، وكيفية إدراكها، ويوضح روجرز عدة خصائص للذات واضعًا تسعة عشر قضية نذكر منها: أنَّها ذلك الجزء من المجال الظاهري يأخذ تدريجيًا في التميز عن بقية المجال، باعتباره شعور الفرد بوجوده ووظيفته، فتتكون بنية الذات من خلال التفاعل المستمر بين الفرد وبين بيئته التي يعيش فيها، وخاصة الأفراد المحيطين به على اعتبار أنهم مصدر إشباع أو احباط له، وتتسق معظم طرائق السلوك التي يقوم بها الفرد مع مفهومه لذاته، والخبرات لا تتطور مع الذات وتدرك بوصفها تهديدات"[٦]، فمفهوم الذات لها أثرًا مهمًا في تكيف الفرد مع بيئته، ومفهوم الذات لدى الفرد إما أن يكون مفهومًا إيجابيًا أو سلبيًا، وهذا ما يؤثر في طبيعة شخصية الفرد، ولها أبعاد كثيرة منها، الواقعية والمثالية، والاجتماعية، والثقة بالنفس ، والجسمية.

١. صورة الذات الإيجابية للمرأة:

تعد الذات الإيجابية من أجمل الصور التي تقوم بها المرأة سواء كانت في الواقع الذي تعيشه في المجتمع، كالحب والمودة والرحمة وفعل الخير، والتفاؤل والسعادة، أو من خلال العمل السردي الذي ينقله السارد في الحكايات والنصوص السردية، فهي ذات لها " قدرة على التأثير، كما تكون ذات قابلية للتأثر أيضًا"(٧)، فذات الإنسان تتشكل " بتأثير كبير من العالم الخارجي " الواقعي" والذي حدد بدوره مسار اهتمامه القادم فاتسم بمحاولة طلب الإنصاف من الآخر وعلى ضوء ذلك تحدد موقفه من هذا الآخر"(٨)، فكانت بداية المرأة من خلال ذاتها وبذلك تضمن التراث الشعبي بصفة عامة والحكاية الشعبية بصفة خاصة نماذج لتلك الذات الإيجابية المؤنثة التي استطاعت من خلالها أن تحقق قيمًا إيجابية نافعة تخدم المجتمع، وقد تجلت الذات الإيجابية في حكاية " المكتوب على الجبين" : " **أنا ابنة الملك وزوجة الملك العفيفة القانتة سوف يحدث لي هذا، لا والله ليست لي حياة بعد اليوم، وقررت أن تقتل نفسها، ولفت على رقبتها مصرها حتى ماتت. وفي القبر نزل عليها الملائكة وقالوا لها: لم يحن وقت موتك ولا بدَّ أن تعودي إلى الدنيا، ونفخوا في صورتها فعادت إلى الدنيا**"(٩)، من خلال النص السابق يحرص السارد على إدخال فضاء التلقي في عملية جدلية مع الذات المؤنثة وذلك في عبارة(أنا ابنة ملك وزوجة ملك) التي تتيح للأنثى مكانة متميزة مقارنة بغيرها، فضلًا عن أنَّ كيف وصول المرأة الذات إلى هذه الأفضلية والحيثيات التي أدت إلى وصولها لتلك المنزلة فهذه التساؤلات أدت بها إلى قتل نفسها كي لا تقع في الخطأ حفاظًا على مكانتها الاجتماعية التي سمت بها على من حولها، فتعد تلك الاشارات التي جاء بها السارد إسهامًا في كشف جانب الشخصية لدى المتلقي فيؤدي به إلى متابعة جزئيات السياق الحكائي، فتحدث ألفة بين النص الحكائي والمتلقي بسبب تلك الذات المؤنثة فقد أسهمت في التواصل المبني على الاقتناع من القارئ تجاه تشكيل الحكاية، فسرعان ما يتجاوز السارد بالمرأة من المنطقة الواقعية إلى منطقة أخرى تتسم فيها بطابع خيالي بعيدًا عن الواقع، وذلك من خلال إعادتها إلى الدنيا مرة أخرى، فقد اتضحت تلك العودة التي منحها إياها الطرف الآخر من خلال توالي الأحداث، التي أدت بها إلى الصراع مع ذاتها وقد انتصرت تلك الذات الإيجابية على شخصية المرأة نفسها.

ونلحظ الذات الإيجابية في حكاية " جزاء الحامدة الشاكرة" : **أنا من بنات الحور، كنت أتمشى في الجنة ورأيت نعيمًا مضاعفًا، فسألت: لمن هذا النعيم؟**

فقالوا لي: إنَّ هذا النعيم للحامدة الشاكرة لموت أبنائها.

فاشتقت لأن أتنعم بهذا النعيم، وطلبت من الله أن ينزلني للدنيا وأتزوج وألد ويموت أبنائي فأحمد وأعود لأنعم بذلك النعيم، فاستجاب لدعواتي ربي وأنزلت للدنيا طلبًا لذلك النعيم... وأفسر لكم ما حدث مع أبنائي فقد فرحت لموتهم لأني حمدت وشكرت الله على ذلك على أمل أن أتنعم بالنعيم الذي شاهدته في

الجنة، أما بكائي وحرقتي على المرأة العجوز فزمنها كله الذي عاشته في الدنيا " ملهاش" ولا حسنة إلّا حسنتين حين أخذ الإعصار " ظلتها" وكلب خطف منها قرص عيش، وكان حزني عليها عظيمًا. وقضى الله على أبوك بالموت، فإنَّ سيئاته أكثر من حسناته؛ فرفضت أن تدفنه حتى تزيد من حسناته بأن توزع ماله كصدقة، والآن أوصيك أن تحصر ماله وتقسمه ثلاثة أقسام تفرّق قسمين ولك الثلث "[١٠]، إنَّ الذات الأنثوية في النص السردي حاولت الحصول على النعيم المضاعف، فأرادت أن تحقق لنفسها سموًا روحيًا يقوم على الارتفاع بكيانها بعيدًا عن واقع حياتها، وانتقالها من عالم الآخرة إلى عالم الدنيا، فطلبت من الله أن ينزلها إلى دار الدنيا لتحقيق ما تريده لنفسها وللآخر من عمل الخير، فكان لها دورًا مؤثرًا من خلال الأحداث في الحكاية فهي شخصية انسانية ذاتية أرادت أن تجسد دواعي الخير لدى الآخر باتجاه ما هو إيجابي، فقد حققت ما ترنو إليه من فعل الخير لدى الآخر، وكان للزمان والمكان دور فاعل في النص الحكائي وفي شخصية الذات الأنثوية، فقد أدى الزمن دوره من خلال الأفعال الماضية (كنت، أتمشى، رأيت، اشتقت، طلبت، استجاب) عكست نوعًا من الثبات والانتهاء من مرحلة العيش في الجنة، والانتقال من مكان إلى مكان آخر، فلا بد للذات الأنثوية التأقلم معه لتحقيق ما تريده من النعيم، فهي كانت تعلم ما ستواجهه في ذلك المكان، إلا إن الآخر لم يكن على علم بذلك، فهي تحاول الحصول على ما تريد، فقد كانت تصبر إلا ان الآخر يريد أن يفسد تحقيق ذلك، وبذلك ارتبط عنصر الزمن مع المكان ارتباطًا وثيقًا، لأنَّ انتقال الشخصية وتحولها من ذلك المكان وما حدث لها في دار الدنيا من الفرح والصبر لموت أبنائها والحزن على موت العجوز والرجل هو الذي دفع الأحداث إلى الأمام، وأدى إلى تبلور الزمن ومروره من خلال حركية الماضي والحاضر، فحركة الزمن كان لها الدور الفاعل على الذات الإيجابية للشخصية فإنَّ الماضي الذي تركته جميل، وسعت إلى حاضر أجمل منه، فالذات من خلال الصبر على ما مرت به حزن وموت أبنائها، فقد كانت تحتسب وتقوم بوضع الحناء والكحل، فيقوم زوجها بتأنيبها وكذلك أهله، ولكن عندما توفت المرأة العجوز حزنت عليها، وكذلك عندما أراد زوجها دفن والده، فتعلقت بالجنازة ورفضت أن يدفنه فهنا تتحرك الذات الإيجابية لعمل الخير والتفاني من أجل الآخر.

وتجلت الذات الإيجابية في حكاية" لولوة بنت مرجان" : " **فقالت له: طريق لولو بنت مرجان صعب ولا تصله إلا بمساعدتي.**

ـ خرج عثمان وعبد الله من سنين طويلة وذحين جا وقت غداهم وأنا جالسة أجهزة لهم وخاف أن يصلوا ولو لمحوك ياكلوك خليني أدسك.

فوافق يوسف على ذلك، فقامت العفريته بنفخه وحوّلته إلى دبوس ووضعته بشعرها، وبعد سنوات قليلة جاء عثمان وعبدالله وهما يصيحان:

ـ **جياع يا أماه...**"[١١]، إنَّ الذات في النص السردي حاولت مساعدة الآخر وانقاذه من الخطر، فمن خلال ارتباط الزمن بالمكان أدى إلى استمرار الأحداث وتحقيق ما أرادت الذات (العفريتة) وذلك لما قامت به من مساعدة الآخر (يوسف) وتحويله إلى (دبوس) وهنا لعب العجائبي دوره في تحقيق الذات الإيجابية لدى العفريتة التي تعمل الشر لكنها قامت بمساعدته وحمايته من أولادها، فكانت لديها القدرة الخارقة على التحويل والخرق، فهي تتمتع بإمكانية حدود المعقول غلى درجة اللامعقول، وهذا التحول استغرق زمنًا، فوضعته في شعرها سنتين، وهنا السارد لا يهتم بالجزئيات الصغيرة في الحكاية بقدر ما يهتم بما تريد الذات تحقيقه وهو حمايته من الآخر وعندما تحقق له الحماية ترجعه إلى انسان وتستمر الأحداث فهي تحاول مساعدته وايصاله إلى ما يريد: " **فقالت له العفريتة: لازم يروح عثمان وعبد الله يساعدانك.**

ففرح عبدالله وقال لها:

ـ **سمعًا وطاعة.**

قامت العفريتة من مكانها وأخرجت " دحية" وباكورة وقالت ليوسف:

ـ **شل هذه الدحية والباكورة ورحوا لبلاد الظلمة وضربوا الدحية بالباكورة تنفلق لكم طريق كالشعرة أدخلوا منه تلاقوا في آخر الطريق قصر كبير لا يتكلم منكم أحد ولما توصل أوقف تحت طاقة القصر الشامية وقول: يالولو بنت مرجان نزلي شعورك الطوال فإذا نزلتها تمسك بها واطلع وحذاري من ان تشوفك أمها أو كلبتها فإذا لمحوك أكلوك وفصفصوا عظامك.**"[١٢]، فتواصل الذات العفريتة مساعدتها وتوجيهها للآخر حيث قامت بإعطائه "الدحية"* والباكورة وهذه الأشياء تؤدي به الوصول إلى "لولو بنت مرجان" وتحذّره أن لا تراه أمها أو كلبتها لأنَّهما يأكلانه وبذلك فقد قامت الذات الإيجابية لدى " العفريتة" بمساعدة الآخر بكل ما لديها من وسيلة، فيتضح من توالي الأحداث أنَّ هناك علاقة وظيفية تقوم على الرغبة بين ذات ذكورية يشكلها كل من " عثمان وعبدالله" حيث ترتبط هذه العلاقة بمساعدة " يوسف" ودفع الخطر عنه وقد قام بهذا الدور الذات الأنثوية، فهي التي نهضت بخدمة الآخر التي لا تنتمي له، فهو من بني البشر، وهي تنتمي إلى عالم آخر تمتلك من خلال إمكانات ساعدت على تحقيق ما يريد الوصول له الآخر.

وتتضح الذات الايجابية في نص آخر: " **فقالت له لولو:**

ـ **هاتوا لي طشت فيه ماء مسكر وقليل من الحب وتركوني لوحدي.**

جهزوا لها ما طلبت وتركوها بمفردها، فجلست تغني ليوسف وماهي إلا لحظات إلا وجاء مرفرفًا وحط بجوارها، فأمسكت به ومررت يدها على رأسه وجذبت الدبوس من أسفل رأسه... عاد إلى صورته الأولى"[١٣]، إنَّ توظيف الراوي للجانب العجائبي الخيالي جعل الحكاية أكثر تشويقًا ومتعة في الحدث، فقد أضفت الذات المؤنثة طابعًا اسطوريًا فعندما طلبت " الطشت" وفيه ماء مسكر فقد كانت باستطاعتها

إعادته من الصورة التي هو عليها " الطير" إلى هيئة انسان لكن الأمر لم يكن سهلًا، فقد كانت تمتلك قدرة من خلال معرفتها ونباهتها فقامت بمساعدة الآخر، إذ أنَّ سلوك شخصية الأنثى وتوظيف قدراتها الفردية الخاصة في خدمة الآخر كان بمثابة الدافع لذات أخرى فاعلة قامت بإنجاز هذا العمل الذي يستطيع فعله السحرة وكان لها الفضل في التحول، و كان لها حضورًا واسعًا في داخل النص، وفي الفضاء الزماني والمكاني، فقد استغرق تحوله زمنًا ومكانًا خاصًا، وكذلك كان للحوار دورًا أيضًا فتدخلت اللغة وجمالياتها في ذلك التحول وذلك كله يعود إلى الذات المؤنثة التي قامت بهذا العمل.

وفي حكاية "الفقيه" : " **وذات يوم تزوج امرأة ذكية، عرفت فيه الشخصية الضعيفة التي لا تقاد ولا تقود، وعندما أراد تطليقها أمسكت لسانه وأهمته أن الله الرازق، والرزق يتطلب البذل والجهد، وأشارت عليه بتغيير مهنته، فأخبرها أنَّه لا يعرف شيئًا من أمور الدنيا سوى حمل البضائع للمتسوقين، فقالت له: أنا أدبرك.**

وقامت من حينها ببيع بعض مستلزمات البيت، واشترت قفطانًا وجبة وسبحة، وألبست زوجها وأوصته أن يقف في الطرقات ويدّعي معرفته بتفسير الأحلام"[١٤]، فالذات المؤنثة في النص الحكائي " تحمل فكرًا نفعيًا؛ أي إن الذات تأخذ من الآخر ما تحتاجه وما ينفعها في كل المجالات التي تضمن لها تقدمها... ومن ثمَّ تكون عملية التأثر والتأثير والأخذ والعطاء بين الذات والآخر"[١٥]، تميزت الذات بذكائها وتدبيرها فاستطاعت تغيير أفكاره وحياته من الفقر إلى الغنى وذلك من خلال بيع بعض مستلزمات البيت لتصل إلى ما تريد وتستمر الأحداث، فالآخر " الفقيه" شخصية ضعيفة إلّا إنَّه استمد قوته من الذات المؤنثة، وغيرت نظرته السلبية للحياة، لأنَّها اكثر اندفاعًا للحياة، وتمتلك ايجابية، وتنظر إلى الحياة نظرة تفاؤل، ولم تترك الآخر يسيطر عليها بشخصيته الضعيفة، فاستمدت من شخصيتها المميزة حكمتها وتدبيرها، وقد حصلت هي وزوجها على الأموال والذهب و القصر وتطورت حالتهما المادية، وذلك بسبب الفطنة التي كانت تمتلكها، فقد اتخذت الدين مهنة لكنها لم تستطع هي أن تعمل بها، وذلك لأنَّ تفسير الأحلام والتنبؤ يجيدها الرجل أكثر من المرأة، فضلًا عن أنَّها حررت افكار زوجها الذي كان يقوم بطلاق كل امرأة يتزوجها بسبب فقره، وإنَّ النص فيه تناص مع حكايات ألف ليلة وليلة، وذلك لأنَّ تلك المرأة بذكائها دفعت الطلاق عن ابناء جنسها كما دفعت الموت شهرزاد عن أبناء جنسها، والطلاق أشبه بالموت عند المرأة لأنَّه يمثل انعدام الحياة لها، وذلك بسبب النظرة الدونية لها من المجتمع فكان الهدف واحد بين الحكايتن الف ليلة وليلة وحكاية الفقيه وهو الانقاذ.

٢. صورة الذات السلبية للمرأة:

إن الذات الإيجابية تقابلها ذات سلبية، فمن خلال هذا النموذج تناقض المرأة ذاتها بتلك الصورة السلبية، وتكمن الذات السلبية في الانفعالات السلبية، كالحقد وفعل الشر والكآبة والحزن والتشاؤم والانهزام النفسي، فهذه الذات السلبية المؤنثة تغضب وتثأر وتعاقب، بينما طبيعتها الحقيقية هي النقاء والسماحة والصفاء مع الآخرين، فالذات السلبية هي التي تصنعها الأحداث وتتأثر فيها، نتيجة الأفكار والعادات والمشاعر السلبية التي تتجمع في داخلها، فقد "اهتم علماء النفس بالمرض العقلي للإنسان وتعاسته وشقائه... فيستطيعون قياس الأفكار التي لها علاقة بالجوانب السلبية في سلوك الإنسان، مثل القلق والخوف والاكتئاب.ولكن هذا الانجاز رغم أهميته، لم يصنع للإنسان حياة راقية.إنَّ علماء النفس اليوم يعرفون الكثير عن أسباب الاضطرابات النفسية، ولا يعرفون إلا القليل جدًا عن الأسباب التي تنمي القوى والفضائل الإنسانية"[١٦]، فتتضح الذات السلبية في الحكاية الشعبية وذلك لنقل الواقع ومعالجته من خلال تلك الحكايات، ففي حكاية أخبث من ابليس " . " **قالت له: ما رأيك أن يقوم أحدنا بإحداث فتن ويقوم الآخر بحلها والمهزوم يغادر البلد؟**

أعجبت هذه الفكرة ابليس وقال في نفسه: دعها تقوم بالفتن وأنت تقوم بحلّها، فهذا أحسن ."[١٧]، نجد أنَّ الذات السلبية للمرأة العجوز في النص الحكائي ذاتًا متمرسة في احداث الفتن، وتراهنت عليها مع ابليس، وذلك لقدرتها على الأعمال الشريرة، من خلال البنية الإيحائية للنص، باستعمال ألفاظ ذات دلالات سلبية " يقوم أحدنا بإحداث الفتن" وإن تفكيرها نابع من مواقف الذات السلبية التي استجمعتها بداخلها، فهي لديها القدرة على ان تستجمع قوة العقل والجسد في أعمال الشر والفتن، وقد ذكر الراوي ما قامت به من فتن، وذلك لنقل صورة الذات السلبية للمرأة في الواقع، وما تفكر به، وهي قادرة على المكر والكيد، ويستمر الحقد والشر لدى الذات السلبية للمرأة، ومن ذلك ما فعلته زوجة الأب في النص الحكائي الآتي في حكاية " يا عجلتي يا عجلتي" : " **و أرادت العمة أن تثأر من البنت فقالت لها: روحي جيبي لي منخل الغوريلا. ومنخل الغوريلا لا أحد يستطيع أن يحضره، ومن ذهب لإحضاره أكلته الغيلان، فخرجت البنت ولقيت في طريقها الباذنجان الأبيض فقالت له:**

ـ يا باذنجان لونك حلو.

فقال لها: يجعل لوني في وجهك ما هو في شعرك.

فأصبح لون وجهها أبيض جميل.

وعندما مشت قليلًا وجدت في طريقها الباذنجان الأسود"[١٨]، لقد مثلت شخصية المرأة في النص الذات السلبية التي تريد الشر فقد أنتج النص عددًا من الأفعال التي توحي بذلك ومنها احضار" منخل الغوريلا" الذي هو بحد ذاته خطر على ابنة زوجها، وذلك لتؤدي بها إلى نهاية سيئة والتخلص منها، فتتجسد هنا

وظيفة البطل الشرير أحد وظائف بروب وهي طلب المساعدة من الآخر، فإنَّ الذات السلبية للمرأة نتيجة الحقد الذي يكمن في صدرها والشر الذي بداخلها، ولكن مكرها وحقدها أدى إلى عمل عكس الشيء، وفي حكاية "بلاد ضاع الحق" يزداد حقد المرأة وشرها أكثر من النص السابق: " **قالت له: لو أردت الوصول إلي لا بدّ أن أتوثق من حبك.**

فقال لها: وكيف تتوثقين من حبي؟

فقالت له: عليك بقتل ابنك وابنتك لتثبت مقدار حبك لي.

فعظم عليه الأمر ولم يستطع، ولا يزال يطلب منها أن تبحث عن شيء أخف من ذلك فقالت له أسقيك الخمر حتى تثمل، وإذا ثملت سيهون عليك الأمر "[١٩]، نلحظ الذات السلبية الخبيثة الشريرة الحاقدة في النص السابق، فقد أحبها الملك فطلبت منه أن يثبت حبه لها وذلك بقتل ابنه وابنته حتى تتوثق من حبه لها فصعب عليه الأمر، فإنَّ شخصية المرأة في هذه الحكاية " أرادت أن يكون لها وجهة نظر إزاء هذا الوضع الاجتماعي الحاصل، وليس شرطًا أن تأتي في شكل منجزات قولية مباشرة، بل تأتي الأفعال الخاصة بالذات بمثابة أوعية تحوي ـ إلى حد كبير ـ أفكارها، ورؤاها الخاصة تجاه عالمها"[٢٠]، فالذات السلبية للمرأة قامت علاقتها على أساس الرغبة، وأرادت أن تحقق ما تريد من خلال رؤاها وأفكارها الخبيثة، وهو أن يقتل الملك فلذة كبده في سبيل إثبات الحب، فلم يقدر على قتل ابنه وبنته، إلا أنها فكرت بتقديم خمر معتق من آلاف السنين حتى يثمل ويستطيع قتل أولاده، فطلب منها أن تخف عليه بطلبها وتطلب شيء آخر إلّا أنها أصرت على ذلك الأمر، وأمر السياف بضرب ابنه فقتله.

وفي حكاية " يا شمس " : " **وعندما رأتها ابنتها خافت وحاولت أن تتخلص من يدها لكن الأم كانت تبكي بحرقة وتقول:**

ـ فيانك يابنتي عودت بمنذور ودورت وراك في كل مكان لكني ما لقيتك، وآآآه هـ يا ست مي، أيتي طعمي منذا الحنيد بقيته لك من كبش امنذر.

ابتعدت البنت عن أمها مذعورة وأخذت تدفعها عنها بيدها، إلّا أنَّ الأم جذبتها بقوة وحشرت " الكراع" الذي تحمله معها بحلق ابنتها حتى توسط حنجرتها، وتركتها وخرجت مسرعة فيما بقيت البنت جاحظة العينين وليس بها عرق ينبض"[٢١]، تواصل الذات السلبية دورها السلبي تجاه الآخر من خلال ما تقوم به من أعمال حقد و شر، فتدخل هذه المرأة " إلى فضاء يحقق لها حضورًا أكبر على مستوى الزمان والمكان ألا وهو فضاء اللغة"[٢٢]، حيث حولت المرأة من كائن الرحمة والشفقة إلى كائن الحقد والسوء من خلال العبارات الآتية " حشرت الكراع في حنجرتها" فهي بهذا الفعل أدت بحياتها إلى النهاية والتخلص منها، فقد كانت المرأة تعيش صراع مونولوجي تجاه ابنتها، فصوتها الداخلي لا يمنعها من فعل الأذى، وإنما يحفزها

لذلك الفعل فصوت الشر بداخلها كان مساندًا لها، لكن يبقى عمل الخير يساير عمل الشر، وتستمر هذه الثنائية من خلال الأحداث إلى نهاية الحكاية .

وفي حكاية " الطير الأخضر" : " **فرحت الزوجة وقالت في نفسها: هذه هي الفرصة علشان أطفشهم من البيت وأورّيهم نجوم الظهر. وتظاهرت لزوجها بالحزن لفراقه وأخذت تبكي وتنوح وهي تقول:**

ـ أنا خايفة من أولادك... خايفة أنك تمشي من هنا يجتمعوا عليّ ويضربوني.

فقال لها:

ـ لو امتدت يد واحد فيهم عليك اذبحيه... حلال فيه الذبح.

فرحت عندما سمعت هذا القول وقالت في نفسها: رايحة أذبحهم وأقله ضربوني ودافعت عن نفسي وذبحتهم."[٢٣]، إنَّ المرأة في النص السابق مثلت الذات السلبية التي تكونت لديها نتيجة الأفكار السيئة تجاه أولاد زوجها، فقد كان عالم أفكارها مليء بالحقد والضغينة، وهذه الأفكار السيئة نتيجة لسلوكها السيء، ولم يكن هناك ظرف يؤدي بها إلى فعل الشر فهي تعبر عما يدور بداخلها، فـ" التفكير السلبي يبحث ويفكر في السلبيات التي حدثت في الماضي... ويعيش الحاضر بأحاسيس سلبية و اعتقادات سلبية تجعل سلسلة من التحديات والمشاكل. والعجيب أن الشخص الذي يفكر بطريقة سلبية عنده قدرة خيالية على العثور على السلبيات"[٢٤]، وهذا ما حدث نتيجة الحوار الداخلي الذي ذكره الراوي في عبارة " رايحة أذبحهم وأقله ضربوني ودافعت عن نفسي وذبحتهم"، فمن خلال التفكير السلبي تستطيع أن تحقق ما بداخلها فقد كان للمؤثر الخارجي أثر مهم في نفسيتها وهو التخلص من الأولاد.

٣. تحول الذات :

إنَّ الذات الإنسانية تسير وفق جوانب إيجابية وسلبية من خلال الخبرات والمواقف التي يمر بها الإنسان في حياته، عندما ندرس الجانب الإيجابي للذات الإنسانية لا يمكننا تجاهل الذات السلبية لتلك الشخصية، فسيكولوجية القوى الإنسانية تتداخل فيها الخبرات الإيجابية والسلبية، وذلك لأنَّ حياة الإنسان تستمر وتتطور من خلال تلك الذوات معًا، كالسعادة والتعاسة، والخير والشر، والاستقلال والاعتماد، والأمل واليأس، فلا يمكن الفصل بمكون دون آخر حيث تتداخل القوى الإيجابية مع القوى السلبية، فتحقق التوازن بين الجوانب الإيجابية والسلبية للشخصية الإنسانية، ويمكن تحول الذات السلبية إلى إيجابية وذلك بالتركيز على الجوانب الإيجابية كفعل الخير والتفاؤل ومساعدة الآخر، وذلك يؤدي إلى تضافر الذات السلبية مع الإيجابية أو تقليلها أو الحد منها[٢٥].

ففي حكاية "لولوة بنت مرجان" : " **فقالت له: لولا سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك، اطلب فقد رضعت من لبن عثمان وعبد الله وصرت ولدي مثلهم.**

فشكرها يوسف، فقالت له: ما قصتك؟

فقال يوسف: خرجت أطلب لولو بنت مرجان واشا اصل لها، دليني على الطريق.

فقالت له: طريق لولو بنت مرجان صعب ولا تصله إلا بمساعدتي.

فرجاها يوسف أن تساعده، فقالت له:

ـ خرج عثمان وعبد الله من سنين طويلة و ذحين جا وقت غداهم وأنا جالسة أجهزه لهم وخاف أن يصلوا ولو لمحوك ياكلوك خليني أدسك.

فوافق يوسف على ذلك، فقامت العفريتة بنفخه وحوّلته إلى دبوس ووضعته بشعرها"[٢٦]، هنا تتحول الذات السلبية إلى ذات إيجابية من خلال مساعدتها للآخر وإيصاله إلى ما يروم إليه، حيث تحولت الذات من خلال تركيزها على الأفكار الإيجابية إلى ذات إيجابية، فـ" الانفعالات الإيجابية تضعف الانفعالات السلبية وتبطلها"[٢٧]، إنَّ الأحداث في الحكاية تستحث الانفعال الإيجابي فتؤدي إلى تشتيت الانفعال السلبي سريعًا، فقامت الذات المؤنثة بمساعدة الآخر من خلال تحويله إلى "دبوس" و دسه في شعرها فيصور الراوي الجانب العجائبي لتلك الذات الإيجابية للمؤنثة التي ساعدت على استمرار الأحداث، وكذلك قامت بفعل الخير للآخر، ومساعدته إلى الوصول إلى ما يريده.

وفي حكاية " يا عجلتي يا عجلتي" : " **ومضت إلى بيت الغولة، فوجدتها تهرش جسمها وتصيح من شدة أكلان القمل، فسلمت عليها فقالت لها: لولا سلامك لأكلت لحمك وبقيت عظامك.**

فجلست البنت بجوارها فقالت لها الغولة: أطلب منك تفليتي وأكل قملي ولا أكلتك.

فقامت البنت وأخذت تفلي الغولة وترمي قملها وتأكل من السمسم الذي اشترته، وكلما فلّتها قالت لها: قملك حلو يا ستنا الغولة.

فأسعدتها بقولها، وقالت لها: هيا قومي نظفي البيت وعلفي الدواب.

فقامت البنت ونظفت البيت... وقالت لها ما هو طلبك؟

فقالت البنت أبغى منخلك.

فقالت لها الغولة : أنزلي للبئر وستجديه هناك"[٢٨]، في النص الحكائي السابق نلحظ أنَّ الذات السلبية تحولت إلى إيجابية وذلك بسبب الآخر الذي استطاع تغيير أفكارها و انفعالاتها السلبية، فـ"علم النفس يركز على كل ما هو إيجابي، فإنَّه يمثل أفضل الطرق لمساعدة الأفراد في أوقات الشدة. إنَّ ما يحتاج إليه الأفراد الذين يعانون من الخوف والقلق والاكتئاب، هو التخفيف من معاناتهم"[٢٩]، فتلك الذات بحاجة إلى المشاعر الإيجابية لكي تغير من قواها الفكرية التي تتركز عليها وتفكر بها، فعندما طلبت من البنت أن تفليت شعرها فهي لم تكن بحاجة إلى هذا الفعل وإنما لتختبرها وعندما فعلت البنت ما طلبت منها أن تفعله فقد غيرت انفعالاتها ومشاعرها السلبية إلى انفعالات ايجابية فقد أسعدتها وذلك عندما قالت لها (قملك

حلو يا أمنا الغولة)، وطلبت منها أن تنظف البيت فقامت بذلك، فإنَّ تخفيف الأعباء عنها جعلها تشعر بالسعادة وبناء الشخصية الإيجابية لديها.

وفي حكاية "ماء القلوب" : " **لجمت المفاجأة الملك فلم يستطع النطق وزاده عجبًا أن رأى زوجته الجميلة تتحوّل إلى مارد ضخم تخرج فحيحًا وقد استطالت لسانها وهي تصيح بالشاب:**

ـ يا ابن الفاعلة قتلت أهلي وناسي... سأشرب من دمك.

وتقدمت نحو الشاب الذي استقبلها بضربة من سيفه سمع لها دوي كارتطام الحديد بالحديد، فصاحت به:

ـ ثن ضربتك يا ابن الفاعلة...

فسقطت على الأرض وتحوّل جسدها إلى أفعى ضخمة أخذت تزحف باحثة عن جحر تختبئ فيه"[٣٠]، نلحظ أنَّ الذات الإيجابية في النص الحكائي تحولت إلى ذات سلبية من خلال عبارة (سأشرب من دمك)، و يحتوي النص على عجائبية عالية في الدقة والتصوير، إذ وصف الراوي كيف تحولت الزوجة الجميلة من صورتها الإيجابية إلى السلبية إلى أفعى تصدر فحيحًا، فيصف الراوي الأحداث وكأنك أمام مشهد تلفازي مصور، ويصور ما حدث لها حيث استطال لسانها، وقامت تصيح به سأشرب من دمك، فمن خلال هذه الأفعال والعبارات والدلالات تشير إلى الذات السلبية التي قامت بتهديد الملك لينقذها من الموت، فتقول له: (ثن ضربتك)، حيث تجلت في النص أحد وظائف بروب وهي وظيفة إساءة التي اتصفت بها الذات السلبية للمرأة فكانت لها أهمية في الحكاية، فقد أكسبتها حركيتها في استمرار الأحداث وتقدمها إلى الأمام.

الخاتمة:

إنَّ المرأة من خلال ذاتها الإيجابية والسلبية استطاعت تتميز وتختلف بكيانها وقوتها وتخرج من قوقعة النظرة الدونية لها، فمن خلال اختراقها لعالم المجهول، وخروجها من عالم المألوف أدى بها إلى القوة والصلابة، ففي الذات الإيجابية كانت ذاتًا مبدعة في عمل الخير ومساعدة الآخر ومساندتها للرجل الذي كان في مقاطع حكاية وصل إلى مرحلة الضعف فاستطاعت أن تنهض به ومساندته، وأما من ناحية الذات السلبية للمرأة وإن كانت تمارس تلك الذات السلبية إلّا إنها قامت بمعالجة واقع كان ينظر لها نظرة سلبية وإنَّ الذات الانسانية بطبيعتها لا تخلو من السلبية والإيجابية و لا تنفرد بواحدة، فأنَّ السيكولوجية الفردية للشخصية مكونة من خير وشر، فالخير يساعد على بناء تلك الذات والشر يساعد على الذات السلبية على أخذ العبرة والعظة ومعالجة الواقع الإنساني، وأما تحول الذات الإنسانية فهي مزيج من السلب والإيجاب وذلك لأن تركيبة الذات سيكولوجيًا على هذا الشكل، إذ تتدخل العواطف والمشاعر أما الايجابية أو السلبية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية مما يؤدي بها إلى تلك الذات السلبية، وقد يتدخل قصور التفكير السيء، أو الضيق في افق الذهن أي التفكير المحدود أو حب الذات ، أما عندما تتحول إلى ذات إيجابية أي زادت تلك الذات في سعة افق التفكير.

الهوامش:

١. سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات، دويدار عبد الفتاح، دار المعرفة الجامعي، ١٩٩٩م: ٣٩.

٢ . ينظر: علم النفس المعاصر، حلمي المليجي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٢: ٧٨.

٣ . ينظر: بعض مخاوف الأطفال ومفهوم الذات لديهم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢: ٦٣.

٤ . ينظر: نظريات الإرشاد والإرشاد، حاد الفقي، دار القلم، الكويت، ١٩٩٠: ٣٩٢.

٥ . علم النفس الاجتماعي، زهران حامد، عالم المكتبات، القاهرة، ٢٠٠٠: ٣٦٧.

٦ . العلاقة بين مفهوم الذات والسوك العدواني لدى الطلاب الصم، عواض الحربي، رسالة ماجسيتر، كلية الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٣: ٢٩.

٧ . في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م: ١٠٢.

٨ . مقالات في النقد: ١٦٦.

٩ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٣٤.

١٠ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٤١ . ١٤٢.

١١ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٥٥. ١٥٦.

١٢ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٥٧.

* الدحية: نبتة مرّة الطعم لا تؤكل وشكلها بيضاوي(قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٥٧).

١٣ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٦١. ١٦٢.

١٤ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ٣٣٦.

١٥ . الذات والآخر في الخطاب السردي: ٦٣.

١٦ . علم النفس الإيجابي، اتجاه جديد لدراسة القوى والفضائل الإنسانية، البروفسور بشير معمرية، قسم علم النفس ، جامعة الحاج لخضر، باتنة : ٩٨.

١٧ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ٢٧٥.

١٨ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٦٦.

١٩ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ٢١٧.

٢٠ . نظريات السرد الحديثة، ورتن مالاس، ترجمة: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م: ١٩٦، وشخصية المرأة في التراث العربي: ٥٦.

٢١ . قالت عجيبية أساطير تهامية : ١٧٧.

٢٢ . شخصية التراث العربي: ٦١.

٢٣ . قالت حامدة أساطير حجازية ، عبده خال، دار الساقي، بيروت . لبنان، ٢٠١٣: ١٤٧.

٢٤ . التفكير السلبي والتفكير الإيجابي: ١٢ . ١٣.

٢٥ . ينظر: علم النفس الإيجابي: ١١٧ . ١١٨.

٢٦ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٥٥ . ١٥٦.

٢٧ . علم النفس الإيجابي: ١١٣.

٢٨ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ١٦٦. ١٦٧.

٢٩ . علم النفس الإيجابي: ١١٣.

٣٠ . قالت عجيبية أساطير تهامية: ٤٢٨. ٤٢٩.

المصادر:

* بعض مخاوف الأطفال ومفهوم الذات لديهم دراسة مقارنة، يوسف عبد الفتاح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

*التفكير السلبي والتفكير الإيجابي، دراسة تحليلية، الدكتور ابراهيم الفقي، الراية للنشر والتوزيع، مصر، د.ت.

*الذات والآخر في الخطاب السردي، دراسة لأزمة الهوية في أعمال أمين معلوف السياسية والروائية كتاب الهويات القاتلة ورواية التائهون أنموذجين، حاتم زيدان، اطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح . ورقلة، ٢٠٢٠.

* سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات، دويدار عبد الفتاح، دار المعرفة الجامعي، ١٩٩٩م.

*شخصية التراث العربي مجمع الأمثال الميداني نموذجًا، دكتور أحمد يحيى علي محمد، كلية الألسن، جامعة عين شمس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، د. ت.

* علم النفس المعاصر، حلمي المليجي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧٢.

*العلاقة بين مفهوم الذات والسوك العدواني لدى الطلاب الصم، عواض الحربي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٣.

*علم النفس الاجتماعي، زهران حامد، عالم المكتبات، القاهرة، ٢٠٠٠.

*علم النفس الإيجابي، اتجاه جديد لدراسة القوى والفضائل الإنسانية، البروفسور بشير معمرية، قسم علم النفس ، جامعة الحاج لخضر، باتنة : ٩٨.

*في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م.

*قالت حامدة أساطير حجازية ، عبده خال، دار الساقي، بيروت . لبنان، ٢٠١٣.

* قالت عجيبية أساطير تهامية، عبده خال، دار الساقي، لبنان . بيروت، ٢٠١٣.

*مقالات في النقد الأدبي، دكتور ابراهيم حمادة، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف. د. ت.

*نظريات السرد الحديثة، ورتن مالاس، ترجمة: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.

*نظريات الإرشاد والإرشاد، حاد الفقي، دار القلم، الكويت، ١٩٩٠.